



لماذا نحب المخيم

اكرم الحسيري

"لماذا نحب ونفخر بالمخيم"

سكن والدي المخيم بعد رحلة شقاء وترحال من مكان إلى مكان بعد الهجرة القسرية من وطنه وارضه ليصبح تائهاً بلا مأوى ولكنه بهدف إلا وهو تحقيق ذاته والعودة إلى وطنه فلسطين..

ولدت في المخيم ، حيث تقبع الحارات الضيقة والبيوت التي لا يفصلها إلا جدار واحد ونافذة مشتركة أحياناً ، والمغطاة معظمها بالالواح " الزينكو " ، وهو لمن لا يعرفه عبارة عن ألواح معدنية متعرجة لا تقي من برد الشتاء ولا من حر الصيف ، حيث إن لوقع المطر عليها صوت و هديرًا خاصاً ، لا يلائم أصحاب القلوب الضعيفة والمرفهة وكان الجدار بين الجيران لا يتجاوز المترين أو أقل!

كنتُ طفلاً كما الآخرين ، نصنع مرمى كرة القدم من أوعية القمامة أو بمصطلح أرشق للذاكرة " سطول القمامة " الموجودة على باب كل بيت ، ثم بقرار أجهل حيثياته حتى الآن أزالوها وصارت القمامة في اكياس سوداء فقط ، امتعضنا لسبب يوازي طفولتنا الساذجة ، لأننا فقدنا متعة الاهداف التي تصطدم " بالسطل " اولاً ، وصار الخلاف اكبر على الاهداف لقصر قامة العارضة المتمثلة بكيس اسود يختلف حجمه باختلاف وقت اخراجه من البيت ، قبل الغداء أو بعده!

أذكر مرة أنني زرت " الحلاق " الهرم ، في جيبي ربع دينار أعطيتها له قبل ان يبدأ بقص شعري ، فتفقدتها ووضعها في علبة مبتدلة بجانب المرأة المتهاكة ، ثم طلبتُ منه قصة شعرٍ رأيتها على شاب يسبقني بعقدٍ من العمر ، تقضي بأن يبقى شعري المجعد الجاف طويلاً من الخلف لأربطه لاحقاً ، تخيلوا بشاعة المنظر - لو حدث - ولهفتي كطفل ذي سبع او ثمان سنوات يريد أن يكبرَ قفزاً على ناي العمر دون أن يتعثّر بالثقوب ، ثم لما انتهى لم يفعل ما اردت فعبستُ وذهبتُ لأبي وشكوته فابتسم ، قال لي : لو كنت مكانه أنا أيضاً لما تركتك تفعل ، فانكسرتُ قليلاً وانسحبت ، ثم ايقنتُ أن ذلك

"الحلاق " الهرم كان أبي في لحظة ما.

أمي - رحمها الله - كانت عندما تصنع الخبز بفرنّها القديم الذي تحبه ، تضع رغيفين هنا ورغيفين هناك واخرى على طرف المستطيل الخشبي ، كنتقسم مدروس اعتادته منذ زمن ، وتقول لي اذهب بهذا لجذتك وبذاك الرغيف لفلانة وتلك الأرغفة لفلانة ، كنت اضع جريدة بتاريخ قديم على يدي وابدأ مهمة قصيرة تنتهي بدقيقتين أو أقل قليلاً ، وتنتهي عند جارتنا النحيفة

جدا التي كانت تستفزني بعبارة " قل لأمك السمينة شكرا " وسرعان ما انسى الاستفزاز الناعم حين تضع في يدي قطعة معدنية تعدادها خمسة قروش ، أفرح جدا فجارتنا النحيبة جداً كانت أُمي في لحظة ما!

عندما نجلس لتناول الطعام والشراب وخاصة في شهر رمضان المبارك تجد أكثر من صنف ونوع هذا صحن ملوخية وذاك صحن مجدرة وهناك صحن بامية وصحن اخر فيه كوسا الخ وكان يتم تبادل صحن الطعام بين الجيران وكنا نعرف كل أسرة ماذا تطبخ.

وفي يوم العيد كان يوماً مؤمير جدا بعد انتهاء الصلاة كنا نقوم بزيارة الجيران والمعائده عليهم دون إستثناء لأحد طبعا كان يسبق العيد ما تقوم به الأمهات من عمل الكعك والمعمول والسهر حتى الفجر وكل يوم لأحد الجيران دور..

البيوت التي كنا ندق جدرانها ونحن نلعب ، والبيوت التي كنا نُنقص من عُمر "الزينكو" الذي يغطيها كلما صعدنا نللملم كراتنا من فوقها ، والبيوت التي كسّرنا في داخلها أعواد الريحان ، والبيوت التي استبحنا راحتها وسكونها على الدوام ، كان أهلها طيبين صبورين ، يطلبون منا على استحياء ان نغير مكان لعبنا ليهنؤوا بقلولتهم قليلا ، ينهروننا اليوم ويقدمون لنا الحلوى غداً ، كيف لي بعد ذلك كله أن أنسى المخيم!

في المخيم ، لك أكثر من أب ، و قبيلة من الأمهات ، وعائلاتك لا تحصى ، وجينات حبّ فلسطين متناثرة في الحارات ، تتنفس فلسطين هنا وهناك ، تشتم رائحة المقاومة في المتاجر والأسواق ، تؤمن بالعودة حين تسمع اغاني صوت العاصفة تصدح من راديو قديم شاهد على نكبة فلسطين ، تعشق الأرض كلما أمعنت في أدب الجدران ، تشهق قضية وتزفر ثورة ، أين ما نظرت تجدَ علمُ فلسطين وشعارات فصائل المقاومة ، أين ما اتجهت عيناك تجدَ شيء من فلسطين ، في المخيم إما أن تكون نائراً او مُحاطاً بشوار ، في الحالتين أنت مقاوم إباد..